

التأثير والإقناع

اللغة كيان حيّ متفاعل يؤثر ويتأثر، والتأثير **Influence**: قدرة اللغة على إحداث أثر مباشر في متكلميها وتفاعلهم معها واستجاباتهم للمقاصد التي تعبر عنها، ورد الفعل استجابة مباشرة للتأثير.

واللغة هي الأداة الأولى التي يستخدمها السياسيون في قيادة شعوبهم، فهي السلاح السلمي الذي يستطيعون به توجيه الجماهير لمقاصدهم، ويكبحون بها إرادتهم، ويخوضون بها معاركهم السياسية. وهي أدواتهم في تغييب المعارضة، وتهميش دورها في الحياة السياسية. واللغة ذات مؤثرات دلالية يحققها المعنى الحسن، ومؤثرات لفظية يحققها نظام الصنعة اللفظية، وما تتمتع به الألفاظ من خصائص أسلوبية تزيدها جمالاً في تراكيبها السياقية، ومؤثرات صوتية نحو المقاطع المتناسقة والمتوازية والنبر والتنغيم، والإيقاع والوقفات، وهي عناصر صوتية لها أثر كبير في الدلالة، وتؤثر تأثيراً مباشراً في المتلقي، المؤثرات الصوتية تتمتع بها الخطاب المنطوق دون المكتوب، إضافة إلى التعبيرات الجسمية والسياق الخارجي.

وقد كان الخطاب المنطوق مؤثراً في الجماهير التي تتلقاه مباشراً فقط، وتأتي درجة التأثير أقل فيمن يسمعون من الإذاعة، ويفقد كثيراً من إمكاناته التأثيرية إن دُونَ وتلقاه الجمهور مكتوباً، ولكن وسائل الإعلام المرئية تنقل الخطاب إلى الجماهير دون أن يفقد شيئاً من عناصره^(١).

ولقد ازداد أثر الخطاب السياسي بفضل انتشار وسائل الإعلام، التي يسرت على المرسل إرسال رسالته إلى عدد كبير من الجماهير، إلى جانب أن الإذاعة المرئية (التلفاز) التي تنقل الخطاب صوتاً وصورة معاً لجمهور غائب، وهو ما يجعله أكثر تأثيراً من الخطاب المسموع والمقروء، إلى جانب أن الإذاعة والتلفاز أعطا الخطاب المنطوق أهمية كبرى وحافظا على سماته النطقية أو الأدائية، والتلفاز حافظ على الإشارات الحركية ونقلها للمرسل، الأمر الذي جعل الخطاب المنطوق أعظم أثراً وانتشاراً من المكتوب؛ لأنه احتفظ بانفعالات المرسل وأدواته الأدائية التي تؤثر في المتلقي وتقنعه وتثيره تجاه الحدث، فيشارك المتلقي وجدانه. ولقد اهتم علماء اللغة بالخطاب المنطوق، وتنبه إليه السياسيون "وقد ألح علماء العرب القدماء

(١) ارجع إلى: لغة الخطاب السياسي، الدكتور محمود عكاشة ص ١٤٠ وما بعدها.

على أهمية المشافهة والسماع، وأن اللغة أصوات مسموعة، قبل أن تكون مكتوبة، وأن الخط تابع اللفظ ومن ثم جاء في كتبهم من التحليلات لظواهر التأدية، ولإبلاغ الكثير من المفاهيم الجديدة^(١).

وقد أدرك السياسيون والإعلاميون أثر الخطاب المنطوق في عملية الاتصال، ودوره في عملية الإقناع، وتبليغ القصد، فاستخدموا بعض سماته في خطبهم المكتوبة، ولذا نجد بعض ظواهر الخطاب المنطوق في الخطاب المكتوب، ونجد تداخلاً بينهما، فالسياسيون يميلون إلى الأساليب المحكية لا المقروءة، ويقروءون الخطاب المكتوب على طريقة المنطوق، وقد يزيدون عليه أثناء القراءة من منطوقهم بعيداً عن النص، ويستعينون بالحركات والإشارات خلال القراءة، فنجد محاكاة للخطاب المنطوق بنية وأسلوباً وإلقاءً، "وما ذلك إلا لجذب (السامع) وإبعاده عن جفاف النص، فيكون إيجابياً عند استماعه إلى الكلام"^(٢)، والحركات والعناصر الصوتية عوامل إثارة وتنشيط للتلقي.

ولغة المشافهة تفترض وجود معلومات وإدراك مشترك بين المرسل والمتلقي، وهذا الإدراك المشترك يعين على فهم الخطاب؛ لأنها تملك القدرة على التبليغ والإفادة. فاستخدام اللغة الحية التي يمثلها الخطاب اليومي تؤدي إلى الاستجابة؛ لأنها فاعلة ومؤثرة وتعايش الواقع الحياتي اليومي الذي يعيشه طرفا الاتصال وتعين المتلقي على فهم قصد المرسل، والعامل البصري المتمثل في رؤية الحركات والإشارات، يشارك العامل السمعي اللفظي في تشكيل الفكرة، فالمظهر الخارجي وتعابير الوجه، والإشارات والحركات كلها تساهم في فهم الفكرة ومن ثم تشكل لغة المشافهة بما لها من خصائص أسلوبية وصوتية ونغمية دُخراً كبيراً لكل من يوظفها في خطابه^(٣) إلى جانب التراكيب الخاصة وطرائق الإلقاء، فهم جميعهم يعكسون طاقة حركية كبيرة توضح الفكرة، وتكملها، كما أنها تنقل للمتلقي صورة المرسل كطريقة التفكير وتسلسل الأفكار زيادة عما فيه من شحنات المشاعر التي تكشف صدقه في القول، وهذا جميعه يزيد من فاعلية الخطاب وتأثيره على المتلقي، ومن هنا كانت الخطابة المرجلة ذات تأثير كبير على مشاعر المستمع؛ لأنها تأتي عفوية ممثلة للجوانب

(١) ارجع إلى: الإعلام والتأثير والتأثر، مجلة اللسانيات العربية والإعلامية جامعة تونس ١٩٨٩ ص ٣٦٧.

(٢) أضواء على الدراسات المعاصرة ص ٢٠٤.

(٣) ارجع إلى: علم اللسان، رضوان قزمانى. دكتور، بيروت، ١٩٨٤م ص ١٢٢.

الصوتية والأسلوبية والنطقية. وهناك مؤثرات تصاحب الخطاب الشفاهي مثل: شخصية المرسل وعلاقته بالمتلقي وموضوع الخطاب، وأسلوب الأداء، والمكان، والحركات الجسدية. ولهذا وجب على المتكلم أن يعي وعياً تاماً أهمية العناصر الصوتية التعبيرية في كلامه، وأسلوب نطقه، فهذه الجوانب تشكل منظومة صوتية نغمية متكاملة لا بد أن يتقنها، ويسلم بجميع جوانبها؛ لأنها تؤثر في حواس المستمع ومشاعره، ومزاجه، وإرادته^(١).

وهدف السياسة الشمولي الهيمنة السياسية على الجمهور، وفرض سلطانها عليه ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، قال شليجر: إن هدف السياسة الشمولي توجيه حياة المتلقي إلى سلطتها^(٢).

والخطاب العربي مثل غيره من الخطابات محمل بالكثير من قوة السلطة وتأثيرها، وله السبق في ذلك، ويمثل هذا انعكاساً مباشراً للعلاقة التي تربط السلطة بالجماهير فللسلطة حضور كبير في خطابات المؤسسات السياسية، واللغة هي الأخرى متسلطة، ولها نصيب من السلطة، فمنها سلطة المعنى وأثره في النفس، وسلطة التبعية للمعنى، وسلطة الأسلوب، وسلطة نظام اللغة القواعدي، وهي سلطات تعلو سلطة الدولة فلا يستطيع المتكلم التحلل منها، فكل متكلم يتحمل تبعات اللغة التي يتحدثها، وتعد الأخيرة الأهم من سوابقها. والسياسيون يتواصلون مع الجماهير باللغة، وهي أهم قنوات الاتصال السياسي، وظهر علم حديث يعرف بالاتصال السياسي **Political communication**، وهو العلم الذي يبحث التفاعل بين طرفي الاتصال من خلال قناة معينة حول قضية معينة.

وتتبين العلاقة بين الاتصال والنظام السياسي من خلال ثلاثة مستويات هي: الفرد، والجماعة، والنظام السياسي للفرد في إطار الإنجازات السياسية على الصعيدين الخارجي والداخلي، ويحرص على إقناعه بقيمة دوره في حياته وأثره فيها، وأهمية ولاء الفرد للنظام ومساندته، ويرغبه في بعض أنماط السلوك السياسي التي يتبناها النظام.

ويقدم نفسه للجماعة في إطار ثقافتها واتجاهاتها، ويبحث فيها قيماً سياسية يراها صالحة للجماعة، ومصالحته، وبقائه في السلطة، ويتبنى في ذلك نسقاً عاماً ليحكم أمرها ويستبد

(١) ارجع إلى: علم اللسان، رضون قضماني. دكتور، بيروت، ١٩٨٤م ص ١٢٧.

(٢) مدخل لدراسة النص، جولد شليجر ص ١٨ - ٢٠.

بقرارها، ويقدم خطاباً خاصاً للأقليات أو الأعراق التي تعيش داخل الكيان الجماعي، فيتودد إليها في إطار موروثها الخاص وثقافتها وأزماتها.

والمستوى الثالث شمولي يشمل الفرد والجماعة والسلطة، والنظام السياسي يمد شبكاته داخل هذا الكيان ليجد لنفسه سلطة عامة من خلال التوجيه والإقناع، والضغط والهيمنة السياسية، ويجند لذلك جنوداً عديدين، من السلطة والجيش، ومؤسسات الدولة، ووسائل الإعلام لسانه في ذلك، وأهم جنده.

واللغة تعكس طرق الحياة الخاصة بكل شعب، ودرجة تقدمه ومستواه الثقافي، وموروثه، وقيمه ومعتقداته، فهي المرآة التي تعكس حقيقة الأمم، وتكشف عن الضمير الإنساني وتعريه للأخرين فيروا منها شخصية المتحدث، فاللغة تعد بمثابة الرموز المشتركة بين المجتمع، ولها أثر كبير في تواصله، وأثر أكبر في توجيهه، والتواصل اللغوي يفترض عمليتين متقابلتين: إحداهما: الترميز l'ecodage، ويسير من الأشياء إلى الكلمات، وثانيتها: فك الرموز le décodage، فيعرف ما يخفى وراء الكلمات، فلا يوجد فكر دون لغة، وليست اللغة لباساً للفكر فقط، بل جسد الفكر نفسه^(١).

واللغة ملكة إنسانية؛ لأن الإنسان مفكر وليس مجبولاً على الفعل، ومن ثم اللغة أهم خصائصه من بين الأحياء، فنسب إليها ونسبت إليه، فالإنسان لديه القدرة على تعلمها، فهي خصيئته.

والخطاب السياسي لا يعتني بالفكرة أو المضمون، أكثر من عنايته بالصنعة اللفظية، ومن ثم فالمادة اللفظية قليلة ومباشرة، ولكن دلالتها تتسع لمضامين الأفكار السياسية، والسياسي لا يصنع لغة أدبية هدفها جمال المعنى، ولكنه عنايته بالفكرة التي يقفز إليها من أقرب موضع، ليسبق بها إلى المتلقي.

وقد يضمن السياسي خطابه أساليب الخطاب الأدبي، فيكسوه لفظاً جذاباً وأداءً مميزاً، ويطعمه بعض التراكيب الجمالية ويحشوه بعض الاقتباسات، ولكن هذه الأساليب ليست هدفه؛ لأنه لا ينشد مباراة كلامية، بل يتبارى مع خصومه في ساحات ضارية تحتاج لغة

(١) ارجع إلى: بنية اللغة الشعرية. جان كوهن، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، المغرب

مباشرة ومعلومات تحملها جمل قصيرة، وأشكال مكثفة وملموسة نابعة من السياق المباشر بين المتكلم والمستمع، والتكرار السريع، فيتمكن المتلقي من فهم المراد، ويستوثق منه المعنى ويعتمد على بعض الخصائص الأسلوبية وأهمها التكرار الذي يعد سمة بارزة في الخطاب السياسي ويعطيه إيقاعاً، يزيح عنه الرتابة، ويعطيه وحدة صوتية متناسقة تحفظ استمرار عملية الاتصال، وتجدد التلقي، والخطاب العربي تكراري مبني على التوازي، والتكرارية فيه أقوى وسائل الإقناع. ويعتمد المرسل فيه على اللغة المشتركة الرسمية، ويقدمها في نسق واحد، فالهدف التأثير السريع والإقناع بمضمون الخطاب، فيوظف لغة الخطاب اليومي لتكون قناة مباشرة إلى وجدان الجمهور. وتسهم اللغة إسهاماً كبيراً في شرعية النظام السياسي، فهي الأداة التي يتواصل بها النظام مع الجماهير، والقسم المشترك بينهما، وتحمل طابعاً سياسياً مميزاً عندما تتجاوز لغة الخطاب اليومي والتعبير الرمزي في التواصل بين الأفراد إلى لغة متميزة تعبر عن مضامين سياسية، والسياسيون هم الذين يسيرون اللغة فيكونها زياً سياسياً باصطلاحات سياسية ودلالات خاصة، ومفردات مولدة، فاللغة السياسية سياسية المضمون والمعلومات والمحيط السياسي^(١). والإقناع Persuasion في الخطاب: خضوع المتلقي لمقاصد مضمون الخطاب، وتصديقه بها، أو قبوله مضمون الخطاب، وتسليمه له، وهدف الخطاب السياسي الحديث - في المقام الأول - الإقناع، ولهذا تأتي لغته واضحة أقرب إلى الخطاب اليومي الذي يستخدمه المثقف العادي، وليست هدفاً للدلالات المجازية أو الصور البلاغية المعقدة، وقد تأتي في بعض الأحيان مخالفة لقواعد اللغة تحت تأثير الخطاب اليومي واللغات الأخرى، فالخطاب السياسي يقفز إلى الفكرة مباشرة فليس للصور والوجوه البلاغية حضور فيه إلا قليلاً، ويرجع سبب ذلك إلى أن الخطاب يكلف بالفكرة والإقناع دون الجانب الإمتاع الذي يكلف بالدلالات والجماليات^(٢).

(١) ارجع إلى: اللغة العربية في وسائل الإعلام، إعداد مجموعة من المشاركين في مؤتمر علم اللغة الأول، كلية دار العلوم، قسم علم اللغة، بحث قوة الوصف في دراسة لغة الاتصال السياسي ورموزه، الدكتور أحمد بن راشد بن سعيد ص ٥.

(٢) أعد الصديق المورتاني الدكتور الشيخ أحمد ولد سيدي بحثاً قيماً بعنوان: تحليل الخطاب السياسي (دراسة إثنوغرافية اتصالية في الخطاب السياسي المورتاني، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، قسم الدراسات اللغوية والأدبية، نوفمبر ١٩٩٨م، وتوصل فيه إلى نتائج قيمة، وهو من الدراسات الفريدة في هذا النوع من الدراسات الحديثة. وارجع إلى كتابنا لغة الخطاب السياسي.

والخطاب السياسي الحديث ليس فيه مؤثرات بلاغية كالتى يتمتع بها الخطباء السياسيون في خلافة الإسلام، ويرجع ذلك لأسباب منها: اختلاف الظروف السياسية والاجتماعية، والوعي الثقافي واختلاف لغة الخطاب واختلاف مستوى إدراك المرسل والمتلقي للغة، وكذلك اختلاف العصر وآلياته. فوسيلة الإقناع الأكثر فاعلية قديماً هي التأثير الخطابى في المتلقي، فإذا نجح المتحدث في إقناع الجمهور خطابياً عن طريق إثارة العواطف والانفعالات، فقد حقق إنجازاً إقناعياً، ولكن ظروف المتلقي تجعله أكثر واقعية من سابقه؛ لأنه يستحضر دائماً أمامه البدائل العقلية، واللغة تؤدي دورها في السياسة، مثلها مثل جميع الأدوات التي يستخدمها السياسيون، فاللغة كما قال ابن جني (ت ٣٩٢هـ) "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" ^(١) والسياسيون يستخدمونها أداة لتسييس الشعوب وفق إرادتهم، ونزعاتهم، كما أنها تعبر عن الأفكار والمشاعر والاتجاهات كما يقول دي سوسير اللغة "نظام من الإشارات system of signs التي تعبر عن الأفكار" ^(٢)، وتمثل ظاهرة اجتماعية، فاللغة أداة الاتصال بين أفراد المجتمع قال ساير: "اللغة وسيلة تفاهم خاصة بالإنسان، وغير غريزية فيه تمكنه من تبادل الأفكار والوجدانات والرغائب بوساطة رموز صوتية اصطلاحية" ^(٣).

فالإنسان ليس مجبولاً على اللغة بل يتعلمها من المحيط، فهي ليست سليقة كما زعم القدماء الذين رأوا أن الفصاحة طبع أو سليقة في العرب الأقحاح، بيد أن الفصاحة يكتسبها الإنسان من محيط لغوي فصيح. إن من أبرز الوظائف اللغوية وظيفتها في الاتصال والإبلاغ والإقناع والتعبير عن الذات، ومن ثم وظفها السياسيون قديماً وحديثاً لتحقيق مقاصدهم. ويرى بعض العلماء أن وظيفة اللغة الأساسية هي وظيفة إعلامية، وقد زاد من وظيفتها، اختراع الكتابة والطباعة، والمذياع والتلفاز، وهو ما أحدث ثورة إعلامية أدت إلى نمو الاتصال ^(٤). وقد استفاد السياسيون من تلك المخترعات في توجيه الخطاب السياسي، وزادوا من عنايتهم باللغة أداة تأثير في المستقبلين، وإقناعهم بالإيمان بمبدأ، أو تغيير

(١) ت (٣٩١)، الخصائص: ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني تحقيق محمد علي النجار، بيروت ٢، ٣٣/١.

(٢) علم اللغة العام: ترجمة يوثيل يوسف عزيز، دي سوسير: فردينان، بغداد ١٩٨٥م، ص ٢٧.

(٣) اللسان والإنسان: حسن ظاظا، دكتور، ط ١٩٧١م مصر ص ٢٨، ٢٩.

(٤) مقال اللسانيات والإعلام والتأثير والتأثر: دكتور هادي نهر، مجلة اللسانيات العربية والإعلامية، جامعة تونس

سلوكهم^(١). ولغة الخطاب لغة توجيه وإقناع، وتحتوي على أدوات خطابية مؤثرة، لكنها لا تحتوي على تراكيب مجازية بقدر ما تعني الفكرة صراحة، فقد يستعين المرسل بمؤثرات بلاغية مثل التكرار والتضاد، والترادف، والوصف، لكنه لا يبالغ في التراكيب المجازية، فالغاية من خطابه الاتصال والتبليغ، ويستعين أثناء الإرسال بأدوات تثير المستقبل وتقنعه وتثيره. ويعد الخطاب اليومي هو أحد أدوات رجال السياسة في مخاطبة شعوبهم، خاصة خطاب الثورة، حيث نجد الخطاب الناصري والساداتي كليهما يطعم اللغة الفصحى بمفردات وتراكيب يستخدمها الخطاب اليومي، لما له من فاعلية مؤثرة على الشعب، وما يتضمنه من حيوية، كما أنه يعطي إحساساً للمتلقي بالانتماء والولاء والدفء، فالخطاب المستخدم هو خطاب الشعب.

ولا يجد المتلقي صعوبة في فهم قصد المرسل، وما رغب في توصيله؛ لأنه يملك الأدوات التي تعينه على فهم خطاب المرسل وفك شفرته، فالخطاب اليومي سهل الفهم لدى السامع. ويحتوي الخطاب السياسي على مفردات وتعابير تعطيه حساً جمالياً، ودلالة واسعة عن أصل معناها اللغوي، فنجد مفردات سيّارة في الخطاب، مثل: العدل، الشورى، السلام، وغيرها من المفردات التي توحى بالثقة والأمان، ونجد تراكيب تؤدي نفس الدلالة مثل "حكمة العدل الدولية"، "هيئة الشعوب للسلام"، "العدالة الاجتماعية"، "هيئة الإغاثة، هيئة حقوق الإنسان. وقد يعدل المرسل عن الاسم الصريح بمفردات أعمق دلالة وأثراً في نفس السامع مثل "الوطن العربي" و"الامة العربية" وقد يكون للوطن دلالة ضيقة تعني القطر مثل "مصر" و"الامة" قد تعني أبناء الوطن، مثلما جاء في خطاب التنازل عن العرش للملك فاروق "وحرصاً على أمتنا يعني مصر، وهي في الخطاب القومي تعني العرب جميعهم، وتعني في الخطاب الديني جميع المسلمين ومن في ذمتهم من أهل الكتاب.

والمتلقي لا يجد صعوبة في فهم تلك المفردات أو التراكيب، لأنها جميعاً متداولة، وإن كان فيها مفردات ذات دلالة جديدة، فإن وسائل الإعلام تلوكها استخداماً حتى تجعلها مألوفة للمتلقي وتقرب دلالته. وتصبح بذلك مفردات الخطاب السياسي مألوفة تداولياً وذات دلالة لدى أوساط الشعب متعددة المشارب والثقافة.

(١) أعضاء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما، دكتور، الكويت ١٩٧٨.

ويستعين السياسي في لغته ببعض الأساليب البلاغية، ويختار مستوى معيناً من مستوياتها، يراه صالحاً لجمهور محدد، والهدف إقناعه ببعض البرامج السياسية، ولا يتعامل مع البلاغة على أنها فن بلاغي بل يعدها جزء من نظام اللغة التي يوظفها في الخطاب، فليست هدفاً في الخطاب بل وسيلة للمواءمة بين الموضوع والشكل أو بين المضمون والتعبير، فالغاية من الخطاب الإقناع، وهو الهدف الرئيس، وتحدد لغة الخطاب السلطي من خلال العلاقة القائمة بين المرسل والمستمعين، ويتأثر اللغة والمضمون بهذه العلاقة.

ويختار رجل السلطة الكلمات والتعابير والجمل، ويجعل للجماهير حضوراً في خطابه بهذه الأدوات اللغوية، ويستعين بأساليب تحافظ على استمرار عملية التلقي، وتجعل المتلقي حاضر الذهن، وسريع الاستجابة، ويستعين بموروث ثقافي، ومعلومات عسكرية، واجتماعية، وسياسية، ويعزز بذلك خطابه ويغنيه بالمضامين والدلالات الجديدة، وتؤثر شخصية رجل السياسة هي الأخرى في الجمهور، وتؤثر كذلك مواقفه السياسية، وانتمائه الوطني، ودوره الدولي، وهذه العوامل مجتمعة تجعله شخصية مؤثرة (ميكانزمية أو ذات كارزما).

وللسياق دور كبير في عملية الإقناع، فالمرسل يوظف كلماته في سياقها الذي يناسبها، وسياقها الخارجي أيضاً، وذلك من خلال الموقف الاجتماعي الذي يجمع المرسل بمتلقيه، والعناصر الخارجية التي يوظفها المرسل في الخطاب، ونوع الخطاب مكتوباً أو منطوقاً.

وهذا كله يتطلب شكلاً لغوياً مألوفاً وبسيطاً ومتناسكاً ومركزاً أو مكثفاً Compact، وأن لا يكون الخطاب رسمياً متكلفاً جامداً، فالخطابات التي تتمتع بأساليب بلاغية وتراكيب حية تزيد تفاعل الجماهير ومشاركتها في الاتصال، وتحقق رد فعل عال.

وتحتاج عملية الإقناع أيضاً إلى أن يكون الخطاب منطقياً متسلسلاً ومرتباً، وموضوعياً، ويتمتع بوضوح الفكرة وقرب المعنى ورصانة الحجّة وترابط الشكل واتساقه مع المضمون، وملامته العالم الخارجي واتصاله به.

وذهبت بعض المدارس الحديثة إلى أن وظيفة اللغة الأساسية الإقناع، والإغراء والإعجاب والتلاعب والتبرير ويتبع المتكلم في ذلك تقنيات أسلوبية^(١).

(١) ارجع إلى: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم ولد محمد، عالم الفكر ٢٠٠٠/٣٨ ص ٥٣.

وللإقناع ملامح رئيسة في الخطاب؛ وهي: أن يتوجه إلى مستمع، وأن يستخدم المرسل لغة خطاب المتلقي أو اللغة المشتركة، وتعد لغة الخطاب اليومي الذي يستخدمه الجمهور لغة الإفهام والتأثير والإقناع.

وأن يبدأ بمقدمات مقبولة وينتهي بنتائج حتمية مقبولة وتكون نتيجة مباشرة، وأن يكون الموضوع أو المضمون موضع اهتمام الجمهور أو القضية أو الهدف، وأن يكون هدفاً رئيساً للمرسل، وأن يكون مؤمناً به ملمماً بأبعاده، وأن يكون ملمماً بطبيعة الجمهور وعلماً بمشاربه وخبيراً بالمؤثرات التواصلية معه، وأن يكون واعياً بحال الجمهور ومقتضى إفهامه والتأثير فيه، وأن يستعين بالعناصر التي تحافظ على استمرار التواصل والتلقي نحو العناصر اللغوية المؤثرة، والتعبيرات الصوتية، والحركات البدنية، وأن يختار توقيتاً مناسباً للخطاب، وقناة تتناسب مع الموقف.

وقد عالج علماء العربية أسلوب التواصل مع مستويات المتلقين، وجعلوا لذلك أنساقاً من التواصل تربط بين تقويم الخطاب **Evaluation** والعناصر التأثيرية التي يصنع بها المرسل خطابه ليوافق حال المتلقي، ويعتد في ذلك بدرجة قبوله مضمون الخطاب، وذلك في إطار موقفه من تلقي الخطاب، وقسموا على هذا أنماط المتلقين إلى:

- متلق منكر لمضمون الخطاب، ويحتاج المرسل في إقناعه إلى وسائل قوية مؤثرة، يعتمد فيها على البراهين والحجج. ويوظف فيها عناصر بلاغية متعددة في خطابه.

- متلق متردد، ويحتاج إلى جهد أقل من سابقه (المنكر)، ويقدم إليه المرسل مضامين تزيده ثقة، وتعطيه أماناً، ويستخدم معه أساليب هادئة، تعززها بعض الشواهد المثالية، والأنساق الاجتماعية التي يستأنس بها.

- متلق خالي الذهن، وهذا النوع يحتاج معلومات منظمة، وأساليب موجهة لتوعيته والسيطرة عليه، ليصبح تابعا لسلطة الخطاب.

- متلق تابع، وهو الذي يخضع لأيدلوجية الخطاب، ويقدم إليه الخطاب مضامين جديدة تجدد ولاءه وتقوي صلته بالخطاب، ويشعر المرسل بأنه جزء من الخطاب ومحور قضيته، فيقدم إليه خطاباً شمولياً يجسد منظومة السلطة والموازين لها^(١).

(١) ارجع إلى: بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي، الدكتور محمد العبد، دار الفكر العربي ص ٤١.

ويعد الاتصال بالجماهير علم اجتماعي جديد معقد يوجّه صوب جمهور كبير نسبياً غير متماثل، مختلف المشارب، متعدد الثقافة والميول، وقد يزداد الأمر مشقة على المرسل عندما يخاطب جمهوراً خارجياً يتعدى حدود الوطن يحتاج إلى أدوات إقناعية تناسبه، وهذا يلزم على المرسل أن يوائم بين خطابه ومن يوجه إليهم، وأن يحتوي الخطاب على مضامين موجّهة إلى المتلقي^(١).

ومثال ذلك خطاب السادات في الكنيست الإسرائيلي، الذي استخدم فيه أدوات معرفية مثل التاريخ والدين حيث استشهد بنصوص من القرآن الكريم، والكتاب المقدس (العهد القديم، والعهد الجديد)، ثم خاطب ضمير العالم، وطلب شهادته، ثم خاطب ضحايا الحروب ومحبي السلام، إلى جانب المفردات التي دار محتواها حول رغبته الأكيدة في السلام أمام العالم، ودعم خطابه بموقفه الشخصي، وأبدى للمتلقى ثقة عالية، واعتد بذاته وموقفه، وتحدث عن قوة وثقة.

إن بث الرسالة يتطلب من المتكلم أن يعي ظروف الاستقبال لدى المتلقي وعليه أن يلتمس المؤثرات الخطابية فيه ومعتقداته، وأن يفهم سلوكه الذي يعبر عن تأثره بفعاليات الكلام أو عدم استجابته، فيلجأ المتكلم إلى أدوات أخرى عليها تجدد طريقاً إلى استجابة المتلقي^(٢). فالمرسل في الخطاب المباشر يمكنه ملاحظة رد فعل الجمهور، فيعدل من الخطاب ويضيف إليه، ويتوقف عند بعض المواضيع، ويسرع في أخرى، وينوع في طبقة الصوت وسرعة الأداء، ويستعين بالنبر والتنغيم ليؤثر في الجماهير، ويلهب حماسهم، ويستبد بمشاعرهم، ويراقب حاله خلال الأداء.

ويستعين ببعض الحركات وتعابير الوجه في الخطاب المقروء في التلفاز، ويستعين كذلك ببعض خصائص الخطاب المنطوق ويوظفها، ليجعله خطاباً منطوقاً مؤثراً، ولكنه يقدم المعنى كاملاً باللفظ في الخطاب المكتوب؛ لأنه يفتقد إلى العناصر الدلالية التي يستعين بها المتكلم من خارج اللغة، فالكاتب يضمن الخطاب كل المعاني، ويشرح ويصف، ويعقب ويكرر الجملة بلفظها أو يكرر معناها، ويتخير اللغة والمؤثرات اللفظية، ويستحضر الجمهور

(١) ارجع إلى: اللسانيات والإعلام، للتأثير والتأثر: مجلة اللسانيات العربية والإعلامية ص ٣٥٥.

Haya Kawas. I. Language in thought. Povanech Inc. New York 1963. P. 7.

(٢) ارجع إلى: علم الدلالة السلوكي ص ٩١، والتأثير والتأثر، اللسانيات العربية والإعلامية ص ٣٧.

في إنتاج النص، ويتوقع رد فعله، ويتحسس مواطن القوة فيه، فيؤديها على وجهها، ومواضع اللين فيتطلب فيها مراعيًا سياق الموقف في أدائه. وقد وضع علماء العربية قواعد عامة في الاتصال، وأشهرها مراعاة مقتضى الحال، وتعني في المقام الأول حال الجمهور المتلقي، وقد أكدت ذلك المدارس الغربية الحديثة، فالمرسل مطالب بأن يعي مقامات مخاطبيه ومستوياتهم الاجتماعية والثقافية والسياسية، والمذهبية واللغوية، فاللغة المشتركة تفتح طريقاً مباشراً إلى الفهم السريع والتفاعل المباشر.

وحضور المرسل في الخطاب يعمق وجوده وشخصيته عند المتلقي، وذلك عن طريق لغته الخاصة وفكره وشخصيته المستقلة، والصفات السياسية التي يتمتع بها وحضوره داخلياً وخارجياً، وهذه الشخصية تتجلى واضحة في اختياره المفردات والتعبير والجمل والموضوعات، فهي تعكس حجم شخصيته وقوة تأثيره وإقناعه.

وللاقتناع "conviction" بالمرسل وموضعه أهمية كبرى في الخطاب، وهذا الاقتناع يقوم على دوافع نفسية، وهي الحالة التي يعيشها الجمهور، والمرسل يقوم بتعبئته نفسياً وتهيئته لاستقبال خطابه الذي يمس ظروف الجماهير مباشرة ويشاركهم حياتهم ويخالطهم. وللاقتناع دوافع منطقية عمادها الظروف التي أنتج فيها الخطاب وعلاقته بها، فالمتكلم يشحذ الهمم، ويحمس الشعب ويرفع درجة استعداده، ويدعو إلى تعبئة عامة عندما يهدد أمن البلاد خطر عسكري، وموضوع هذا الخطاب يتضمن أفكاراً حربية خلافاً لموضوعات التنمية والإصلاح التي لا تقال في ظروف الحرب ولا تتسق معها.

ووضوح الخطاب من أسباب الاقتناع به وسرعة الاستجابة إليه فالخطاب الذي يخلو من الغموض والتعمية والاضطراب وغرابة اللفظ، وتعقيد التراكيب ينفذ إلى عقل المتلقي سريعاً دون عائق يؤثر في هدفه، فالجمهور ينشغل بالنصوص المضطربة وإعادة إصلاحها عن فهم الخطاب، فاجتناب كل ما يصرف المتلقي عن فكره الخطاب سبب رئيس في تحقيق مقاصده. إن الإقناع persuasion يعتمد على دراسة طبيعة المتلقي، وأفضل وسائل الاتصال به، وانسجامها الإيجابي معه، فالمرسل يؤثر الخطاب، ويجعله ملائماً لجمهوره، وتتوقف درجة الاقتناع به على قدرة استيعاب مدارك الجمهور، واستمرار عملية الاتصال، ورد الفعل الذي يعكس درجة الاستجابة، والاستعانة بالصوت والصورة والحركة والمكان والزمن، والرموز في الاستدلال يعد أساساً في الإقناع، وتأكيداً لصدقه.

والاتصال المباشر والتفاعل مع العالم الخارجي، والجمهور والمواجهة مع الجمهور مما يزيد فعالية التأثير، وهذا النوع من الاتصال يستفيد من كل عناصره التواصلية والتأثير التي تتعرض للتدمير أحياناً في الاتصال غير المباشر، فالمتلقي المباشر يستقبل الخطاب بأذنيه وعينه ووجدانه، ويؤثر فيه المحيط الخارجي مباشرة، ويتمكن من معرفة أبعاد الاتصال؛ لأنه يوظف له كافة حواس الاستقبال، وحضور الجمهور حافز آخر كالمُرسل، يمنحه طاقة في الأداء، ويلهمه فكرة جديدة، ويعطيه صورة دقيقة لأثر خطابه، فيزيد فيه ويعدل منه وفقاً لمقتضى حال الجمهور.

ورد الفعل مؤشر على درجة الاستجابة، فالتفاعل مع الخطاب يحقق حالة نفسية قد يكون دافعها الحماس *l'enthousiasme*، الذي يكون نتيجة مباشرة لتفاعله مع الخطاب، أو دافعه الغضب مما تتضمنه الخطاب أو الإثارة، فهذه مشاعر مباشرة عبرت عن رد فعل الجمهور المباشر نحو الخطاب، ويمثل رد الفعل النتيجة النهائية في الاتصال، فيستكشف المرسل منه درجة الفهم والتأثير والاعتناع سلباً أو إيجاباً.

*** **

وسائل الإقناع

في الخطاب العربي

الخطاب العربي ما يصدر عن الفكر العربي من إنتاج موجه، ونعني بالخطاب السياسي العربي منتجات الفكر العربي في حقل السياسة، وهذا الخطاب يعني مجموعة النصوص التي تحمل مضمون الفكر العربي، ويرى المهتمين بالسياسة أن الخطاب "مجموعة من النصوص".

والنص رسالة من الكاتب إلى القارئ في شكل خطاب، فالإتصال بين الكاتب والقارئ يتم عبر النص، وهو نوع من التواصل بين المتكلم والسامع.

والنص كلمات في نظام لغوي ثابت، ويساهم السامع في تحقيق هذا الإتصال الكلامي، ويساهم القارئ كذلك في تحقيق هذا الإتصال الكلامي عبر "النص"، والكاتب يريد أن يقدم فكرة أو وجهة نظر معينة في موضوع معين، وهذا خطاب، والقارئ يتلقى هذه الفكرة فيستخلصها من النص وبالطريقة التي يختارها، وهذا تأويل للخطاب أو قراءة له، فالخطاب له جانبان: ما يقوله الكاتب أو منشئ الخطاب، وما يفهمه المتلقي من الخطاب.

والخطاب في ضمير المرسل بناء من الأفكار يحمل شخصية صاحبه وأفكاره، ويحقق مقاصده، والخطاب عند المتلقي يعد موضوعاً لعملية إعادة البناء أي نصاً للقراءة، فيتعرض للتفكيك أو التحليل التفسيري، أو للفهم أو التفسير وللأخير وجهان: تفسير مباشر: يقوم به المتلقي تجاه الخطاب دون أن يتدخل في الخطاب، ويجاوب أن يخضع نفسه للخطاب، فالمتلقي يعايش الخطاب ليفهمه، ويفسره في ضوء مكوناته الخطابية^(١).

وتفسير غير مباشر: ويعتمد على بحث المعاني العميقة وراء الكلمات، ويجاوب المتلقي استبطان النص وتفسيره في ضوء معطياته الرمزية والتأويلية، ويصل من هذا التأويل إلى بناء نص جديد، أكثر عمقاً وأغزر دلالة، وهي مرحلة لا تتوقف عند حدود المتلقي المباشر بل تحاول أن تساهم بوعي في إنتاج وجهة نظر يجتملها الخطاب، فلا تقف عند السطح، بل تحاول إعادة بناء الخطاب، أكثر تماسكاً وأقوى تعبيراً من ذي قبل، والكاتب يهدف إلى معرفة مضمون الخطاب الأيدلوجي ومحتواه المعرفي، وأثر ذلك في بناء الخطاب، ومعرفة الاتجاهات

(١) ارجع إلى: الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية، الدكتور محمد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية ط٤/١٩٩٢م، ص ١٠.

الأيدولوجية التي تتقاسم الخطاب، فنحاول أن ندرسها في إطار بنية فكرية واحدة، وأن نكشف عما في الخطاب من آليات إقناعية، وعناصر اتصالية مؤثرة، ومضامين^(١).

ويعتمد الإقناع في الخطاب العربي على العنصر الجمالي، أو بلاغة الأسلوب^(٢)، ويبرهن على صدقه بحجج لفظية رصينة، ولكنه غير مقنع عملياً، فالأفعال فيه كلامية مسوفة: سوف نهزم العدو، سنقاتل، سنبني وطننا، والعدو مازال قائماً بيننا، وليس هنالك استعداد للحرب، وليست هنالك معادلة في القوة، ومازال الوطن فقيراً بدائياً يقتات من موائد الحضارة الأوربية.

واللغة المستخدمة لا تتسق مع الواقع، فخطاب السلطة يستخدم لغة القوى العالمية نحو: سندمر الاستعمار، وسنغرق دولة كذا في البحر ومن وراءها، ويستخدم لغة التعالي، وتقديس الذات، والأنا العليا وألقاباً توحى بالغرسة نحو: الزعيم، القائد المعظم، صاحب الجلالة، صاحب السمو....، ويجعل من دولة صغرى مجهولة قوة عظمى، ويصف نفسه بأنه المخلص، وتفوح من خطابه نعرة قبلية.

وقد يستعين رجل السلطة ببعض المفردات المثالية التي ترفعه من رجل السلطة إلى درجة مخلص ملهم يعرف كل شيء، ولا يباريه آخر في موضعه، وأنه وهب نفسه لخلاص الشعب، وأنه سيموت من أجلهم، وأنه سيحرم نفسه ويعطيهم، ويهب حياته وعطاءه لهم، وأنه خلق وكلف بهم، وغايته سعادتهم وخلاصهم، والحديث عن صاحب السلطة يشبه الحديث عن الذات الإلهية، فيبين المقصد منه بذكر اسم رجل السلطة، ولا تستطيع التفريق بينهما في خطاب السلطة إلا بقرينة لفظية أو سياقية! وشخصية رجل السلطة في الخطاب تمثل أسطورة البطل الشعبي الذي يخوض غمار الموت من أجل الفقراء والعامّة وقضاياهم، والمتلقي العربي تعجبه تلك الشخصية، وتقنعه بمغامراتها، وخططها الانتحارية التي ترهب المتسلطين والظالمين، وهذه الشخصية تعد إسقاطاً وصوتاً ثائراً يمثل الضعفاء والمقهورين، ورجل السلطة العربي يجعل نفسه بطلاً شعبياً ثائراً يواجه الأقوياء والظالمين ويستتقذ من أيديهم ضحاياهم من الشعوب الفقيرة.

(١) ارجع إلى: الخطاب العربي المعاصر ص ١١ - ١٦.

(٢) اختار أسنانا الدكتور محمد العبد بعض البحوث التي تناولت الإقناع، وجمعها في كتاب صغير الحجم عظيم النفع بعنوان: بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي، توزيع دار الفكر العربي. ط١/١٤١٩، ١٩٩٩م.

وكانت شخصية الرئيس عبد الناصر تمثل بطلاً شعبياً موهوباً ومغامراً لديه القدرة على تحدي الدول الكبرى، والاجترأ عليها وتهديدها، فقد كان مندفعاً في هذا الاتجاه بما يراه من شعبية جماهيرية في العالم العربي تهتف باسمه وتصفق لقراراته وتبارك أفعاله، وتتغنى بخطبه، وأصبحت له شخصية أسطورية تحمل لواء الضعفاء وتندد بالدول الانتهازية المتسلطة، وهي الشخصية التي استطاع بشعبيتها الواسعة في العالم العربي تهديد بعض الدول الاستعمارية، وقد تأذت بعض الدول من خطاباته ومواقفه السياسية، واستفادت دول أخرى من اندفاعاته الثورية وخطاباته التي امتلأت حروباً ووعداً وتهديداً، فالتزمت الصمت، ووظفت هذه الخطابات الانفعالية في حملة دعائية ضده توحى بأنه خطر على الأمن الغربي، وأنه حليف للمعسكر الشيوعي يجب القضاء عليه، ووجهت له ضربة قاسمة تحت مظلة إسرائيل، فلم يجد مؤيداً أو باكياً ينصف حقه، أو يتخذ قراراً حاسماً ضد إسرائيل، وأقنعت إسرائيل الغرب بأهمية وجودها، فدعمها من أجل ردع العدوان العربي، وما يمثله من خطر على أوروبا، وأصبحت بمنزلة قاعدة عسكرية تنطلق منها الحملات لتأديب العرب، وإحكام الهيمنة عليهم، وأصبح وجود إسرائيل مبرراً لردع الغارات التي تهب من بادية العرب على حضارة أوروبا المتألقة !

وما زالت بعض الخطابات السلطوية تتحدث عن البطل الشعبي ومغامراته التي ستدمر وتقتل، وتلقي بإسرائيل في البحر، وتؤدب أمريكا وحلفاءها، ولهذا فالخطابات شعبية واسعة في العالم العربي الذي ينتظر مهدياً مخلصاً يقوده ويحقق آماله، ويعد تلك الخطابات جزءاً من أمانيه، وما زال بعض العرب يقف على أطلال هذا البطل يبكيها، وينتظر خروجه من السرداب، فيقاتلون معه إسرائيل ومن وراء إسرائيل، ويرون أن أي حرب لا يقودها ليست جهاداً شرعياً، وأن انتصارها زائفاً.

وبعض الجماهير لا ترى بديلاً لهذا الخطاب، فرجال السلطة المهادنون الذين يصرحون بكلمات قليلة ولا يعقبون على بعض الأحداث، ولا يبدون موقفاً من الأزمات الدولية وخطط الدول الكبرى هم في نظر هؤلاء ضعفاء وسليبيون وتابعون، ويريدون زعيماً يتوعد إسرائيل بالموت، ويسبها في كل خطاب، ويعاقب أمريكا وحلفاءها ويعلن رأيه فيهم، ويتخذ موقفاً من كل الدول التي تحالفه، ويضمن خطابه حروباً وعداوة، فيصبح رجلاً مقنعاً وزعيماً خالداً، ويظنون أن الزمان هو الزمان، والناس هم الناس !

والجماهير العربية فقيرة سياسياً وليس لديها نضجاً وافياً تقيم به توازناً بين الواقع وبين مضامين الخطابات التي تقدمها السلطة، وليست لديها القدرة النقدية الواعية التي تستطيع بها فهم هذه الخطاب وتقييمها في ضوء المعطيات والإنجازات، إنها تفهم الخطابات في ضوء بنيتها النصية على نحو ما تفهم به النصوص الأدبية التي تبحث فيها عن حسن الصنعة وجمال المعنى وبلاغة الأسلوب، إنها تفسر النصوص السياسية في ضوء معايير التحليل الأدبي، فتمدح الخطاب لجمال الأسلوب، واللفظ، وقيمة الموضوع، فالخطاب العربي يهيك لذة نصيبيه ونكسة سياسية، ليحدث توزناً ومفارقة بين القول ونتيجة الحدث، لتجد في الآلام متعة وفي الموت راحة ! بيد أنها لا تقدم تفسيراً واقعياً للخطاب، فلا تبحث عن صلته بالواقع السياسي، فالخطاب السياسي إقناعي من الناحية النصية، ولكنه مفرغ من قيمته الواقعية، وليست له قدرة إنجازية، ولا يتسق مع القيم الحقيقية، والسياسة ليست بمتعة فنية أو لذة يستمتع بها المتلقي من خطاب أدبي يتمتع ببنية عالية الصنعة، وحسنة السبك وجميلة المعنى بل خطاب إنجازي مضموني ينشد الحقيقة من الواقع، فلا يعبأ بقيم الأدب بقدر عنايته بالأهداف السياسية التي تمثل هدفه الرئيس، ومعايير النقد فيه لا تقوم على أسس أدبية بل سياسية بحتة، فالسياسي يهتم ببنية الخطاب بل يهتم بما يقدمه الخطاب من أفكار سياسية، وما يبتغيه من مقاصد، وما حققه من إنجازات، فهم أساس النقد، ومقصد البحث، ووجه الإقناع الحقيقي.

إن الخطاب العربي السياسي يحتاج إلى آليات المنهج العلمي، التي تهمل اللغة الأدبية الفضفاضة، التي تقوم على الإثارة والتشويق والمبالغة، وتعتمد على لغة تتسق مع واقع القضية أو التجربة أو لغة تتناول الموضوع مباشرة، وتجرد هذه اللغة من زمن المستقبل وزمن الماضي، وتقوم في جوهرها على زمن الحاضر، فالموضوع أو القضية قائمة خارج النص في العالم الخارجي، والمفردات تعبر عنها وتصفها وصفاً دقيقاً ليس فيه مزايدة، ولا تتناول ما لم يكن أو ما سيكون أو ما كان، وعليها أن تتوصل في النهاية إلى نتيجة لا تحمل المجاز، فالخطاب لا يقصد به الإمتاع أو اللذة بل يقصد به الإنجاز العملي، أو عين الأمر الذي يتناوله.

وخطاب السلطة المعاصر لا يهدف إلى حقيقة قائمة بل أثر وجداني يخدر الجماهير ويغيب وعيهم، ويستقطبهم إليه، ويعتمد في ذلك على ميراث خطابي يبدأ تاريخه من العصر

الجاهلي حتى لحظة إنتاج الخطاب، وتوظف فيه العناصر المتاحة من الخطاب الأدبي، مثل: التكرار والسجع، والازدواج، وحسن التقسيم، والإيقاع للتكرار نوعان في الخطاب: تكرار بنائي وتكرار معنوي، فالتكرار البنائي يقع في اللفظ نفسه، ويترتب عليه إيقاعاً صوتياً يؤثر في النفس، ويحدث في الخطاب حركة وتفاعلاً، واللغة العربية بها محسنات غنية الدلالة في سياقاتها المختلفة وأنماطها المتعددة، ولهذا الإيقاع البنائي أنماط عديدة تناولتها كتب البلاغة ووظفها الكتاب والشعراء في إنتاجهم الأدبي، والخطاب السياسي لا يوظف منها إلا القليل؛ لأنه لا يهدف إلى بناء نصي أدبي محكم بل ينشد هدفاً سياسياً عملياً يتضمنه موضوع الخطاب، ويوظف له إمكانات لغوية بسيطة ومتناولة ومألوفة في الخطاب اليومي.

ورجال السلطة لا يعتمدون على النص المكتوب، فليست لديهم المواهب الشخصية، ولا تتاح لهم ظروف الخطاب المكتوب كالتهيؤ النفسى، والوقت الذى تكتمل فيه الفكرة، فتصبح لديه القدرة على إنتاج الخطاب، والإلمام بالموضوع، وإنما يعتمد على خطاب معد إعداداً جماعياً من لدن متخصصين طرحت عليهم مضامين الخطاب، فترجموها لغة، ويوظفها رجل السلطة توظيفاً عملياً، فيدعي الارتجال أحياناً، ويراجع النص أحياناً، ويقرأ أحياناً، ويضيف إليه ما عرض لذهنه أو ما استحضره الموقف، فيعتقد الجمهور أنه صاحب الخطاب، وصاحب الظروف التي تدخلت في صنعه وشكلت مضمونه، فليس الخطاب وجدانياً ولا ذاتياً، وليس تعبيراً حقيقياً وإن شئت الدقة فقل: إنه خطاب مصنوع يدعي الصدق والحقيقة. والتكرار في الخطاب تكرار جذر لغوي أو بنية صرفية أو تركيب، فالأول نحو: بنينا أبنية جديدة على أحدث طرز البناء، وسنجعل هذه المباني لبنة هذا الوطن. والثاني نحو: سنقاتل سنقاتل، وندمر وندمر، فالجهاد الجهاد، والعمل العمل، ويقع التكرار في الأبنية دون الجذر نحو: يقاتل ... يجارب، يجاهد. والثالث نحو: سنبني الوطن، سنبني الوطن، وهذه الأنماط التكرارية تفيد التأكيد، والتكرار المعنوي يقع في المعاني أو في المضمون نحو المترادف: سنقاتل وسنحارب، وسنجاهد. والتضحية والفداء، والإقناع والتصديق والحجة والدليل.

والألفاظ التي تشترك في حقل واحد نحو: الحرب، القتال، التدمير، التخريب، الهجوم، الضرب. والألفاظ التي تشترك في معنى عام نحو: الرأى والفكر والوعي، والمدارس والمعاهد، والمصاحبات اللفظية: ليل نهار، وشرقاً وغرباً، ومجرماً وجوّاً. وهذه الأنماط التكرارية بنوعها - اللفظي والمعنوي. تسهم إسهاماً كبيراً في تأكيد مضمون الخطاب، وتضعد قوة التأثير،

وتزيد المعنى وضوحاً، وتمنح الخطاب إيقاعاً يؤثر في المتلقي، فيدفع عنه الملل، ويحافظ على استمرار عملية التلقي.

ويعتمد الخطاب الإقناعي العربي على استحضار الواقع في الخطاب، والإحالة إليه والاقتراب منه، والاستشهاد به، فالمرسل يستخدم الأفعال الحركية التي تتفاعل مباشرة مع العالم الخارجي، فيعتمد على الفعل المضارع ويكثر منه، وزمن المضارع يتصل اتصالاً مباشراً بالعالم الخارجي، ويتفاعل معه.

ويحيل المرسل المتلقي إلى العالم الخارجي بالفعل والإشارة والضمير، فيقول: انظر، تأمل، اسمع، ... وهذا هو ... وأنت ترى معي ... وسمعنا ... وعرفنا، ولاحظنا، شاهدوا
ويستخدم لذلك ضمير الجمع ليجعل المتلقي مشاركاً في صنع مضمون الخطاب، فيعدل عن المفرد إلى ضمير الجمع في الإسناد إلى المتكلم، فيقول: قاتلنا، ناضلنا، قاومنا، بنينا، وسنقاتل، وسنبني ... ويخاطب المتلقي، فيقول: أنتم ناضلتم، أنتم شاركنم. والتوكيد نحو: كل، جميع، ويستحضر الواقع في الخطاب بالإشارة نحو: هذا، تلك، ذاك، وظرف الحاضر نحو: الآن، هنا والأحوال نحو: معاً، جميعاً، سوياً.

ويقتبس من العالم الخارجي بعض الصور، ويستعين بها في تقوية مضمون الخطاب، ويقتبس أيضاً من الموروث الثقافي الشعبي بعض الأمثال والحكم، والأقوال السيّارة، والتراكيب الاجتماعية المألوفة وبعض القوالب اللفظية المتداولة.

وتبدو المجادلة **Argumentation**⁽¹⁾ واضحة في الخطاب، وهي أكثر أغراضه شيوعاً في خطاب السلطة، فالخطاب موجه ضد خطاب آخر لدحضه وهدمه ويعتمد في الجدل على مجادلة اعتراضية **oppositional argument** تقوم على السفسطة أحياناً **fallacious reasoning**، وقد تفتقد إلى البراهين المنطقية أو المعطيات الواقعية، فلا تستند إلى يقين بل إلى: قيل، وسمعت، ووصلنا إلينا، وسمعنا في بعض وسائل الإعلام، وذكرت الصحف، وغير ذلك من المصادر الضعيفة التي لا يستدل بها، وتحتج ببعض المواقف العارضة، والشواهد الضعيفة، وآراء القلة، وقد يتضمن الخطاب فكراً هابطاً ومذهباً مخالفماً ما عليه

(1) ارجع إلى: بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي، الدكتور محمد العبد، دار الفكر العربي ط ١٤١٩/١، ١٩٩٩م ص ٢٦ وما بعدها.

الجمهور. إن هذا الخطاب عبارة عن مساجلات لفظية يتبارى فيها طرفا الخصام تشبه المنافرات التي كانت تقام في الجاهلية، فيتفاخر كلا الطرفين بحسبه ونسبه وانتصاراته وينقض ما لغيره ويهدمه هدماً، وقد يكون آخرها حرباً ضارية، وشرراتها الأولى خطاب متنافر، وهي الحالة الوحيدة التي يتحول فيها الخطاب من بناء لفظي إلى إنجاز فعلي! ويفتقد هذا النوع من الخطابات إلى الهدف أو المقصد، ومن ثم فهو خطاب جدلي عقيم؛ لأنه يفتقد إلى التوجيه الواعي والهدف الصحيح، ولا يقصد به الإقناع بل هدم مقدمات الآخر، فإنه خطاب تخريبي لا يتشد هدفاً تقدماً أو إصلاحاً سياسياً.

وخطاب الدول النامية هش البنية والمضمون أحياناً، ويعتمد على قوالب ثابتة ومألوفة يكررها، ويعتمد على مضامين معلومة ومكررة يملها الجمهور، وقد تكون المجادلة فريدة صادرة من السلطة تجاه المعارضة التي لا يتاح لها الحديث، وتمثل فيها السلطة طرفي الحوار، فتعرض حججها وحجج المعارضة معاً، ولا تختار من الأخيرة إلا الضعيف والشاذ فتسيء عرضه وتضمّر ما يخالف مصالحها وأهدافها الجدلية.

والمجادلة الاعتراضية تبني قضية النزاع وتتخذها موضوعاً، وتعلنه على الجمهور، وتعتمد على مقابلات لغوية اجتماعية، ومضامين متخالفة، ومواقف متباينة، ويستخدم فيها كل طرف ما يعزز موقفه ويقوي حجته، ويستعين فيه رجال السياسة بسلطتهم، فتغيب الطرف الآخر، وتخفي وجهه الحقيقي، وتقدمه في صورة مشينة. ولا يوجد في العالم العربي خطاب واحد، على ما هو عليه من امتداد طبيعي وتلاحم جغرافي يعيش عليه ما يزيد عن ثلاثمائة مليون عربي تربط بينهم اللغة العربية، وتربط بينهم أواصر تاريخية وثقافية، وعقدية ومصالح مشتركة، وهذا العناصر تشكل كياناً سياسياً موحداً يقوم عليه اتحاد عربي بيد أن كل السلطات الموزعة على هذه المنطقة التي تمتد من الخليج إلى المحيط لا تتحدث خطاباً واحداً، فكل وحدة سياسية لها خطاب يتحدث عنها وحدها، والأنظمة السياسية متباينة الاتجاهات ومختلفة فيما بينها، وتفرز غالباً خطابات متناقضة مع الواقع وتضاد غيرها من الخطابات، وقد تكون موجهة لهدمها، فالنهاية التي تصل إليها من تناحر هذه الخطابات تعطيك انطباعاً بفراغها وعدم موضوعيتها، وعدم صدقها، فهي لا تصب في وعاء واحد بل تخرج من وعاء واحد وتصب في أوعية مختلفة ولا تجتمع معاً، وتجد أحياناً خطاباً يناقض نفسه، فهو بالأمس يتحدث عن وحدة عربية، واليوم يحدث عن وحدة أفريقية أو وحدة خليجية أو وحدة أفرو

أوربية أو أوروبتوسطية، وخطابه عن الوحدة العربية يتضمن أفكاراً تهدم الشخصية العربية وتراثها وثقافتها وعقيدتها، وهذا الخطاب أحادي يرى في نفسه الصواب، ويعتقد ببطلان سلطة الآخر، وقراراته ضد الخطابات الأخرى، فينزح إلى المخالفة والانفراد بالرأي.

والعلاقات البينية بين الوحدات السياسية يشوبها الصراع، فكل وحدة ترى في نفسها المرجعية، ولها حق الطاعة، إنك في النهاية تصل إلى أنظمة هشة وفكراً ساذجاً، ووحدة شكلية لا تتجاوز الكلمات والكتب المدرسية. إنك لا تجد خطاباً عربياً واحداً يعطيك فكرة واضحة عن الاتجاه العربي المعاصر، والأزمات السياسية تكشف القناع عن وجوه متباينة، فأزمة الخليج فضحت الأقنعة العربية التي أفرزت خطابات متخالفة، وكشفت عن التباين الشديد بين السياسيين والمثقفين، ونتج عن هذا التباين انشطار الكتلة العربية، والإعلام العربي ساهم في صناعة هذه الأزمة، فوسائل الإعلام كثفت جهودها في عرض خطاب السلطة التي تواليها ووجهت نيرانها نحو وسائل الإعلام التي تحالفها الرأي، وهي الأخرى تنافح عن موقف ساستها من الأزمة.

والأنظمة العربية تمارس سياسات متباينة في العلاقة مع إسرائيل، فبعضها يتحدث عن إسرائيل في إطار الصداقة، وآخرون يتحدثون عن الصهيونية التي اغتالت الأرض وقتلت شعبها، ومن وراء هذا وذاك أنصار يباركون الأفعال ويصفقون للخطابات، والجمهور منقسم على نفسه فيمن يشايح ومن يصدق!

والمؤسسات الإعلامية ليست حيادية، فهي صناعة السلطة، والمملوك ولاؤه لسيده، إنها تقدم إليك سيدها في صورة المخلص والنجيب الفذ وقطب الأقطاب، وفريد نوعه وزعيم عصره، وتلبس عليك المعاني فتلاعب بالدلالات، وتنشئ معاني جديدة وقيماً مسيسة، فيردها الإعلاميون، ويعلق عليها المتخصصون، ويأولونها على وجوه ويكثرون فيها الشروح، فيصبح الخطاب نصاً مقدساً تحشى الجماهير نقضه لثلاث تكون مارقة.

وهذه الخطابات المتعددة لا تمثل العقل الجمعي للأمة، ولا تحفظ وحدتها، وإنما تكون من بعدها أشتاتاً قدداً، والنظام السياسي لا يراجع نفسه، ولا يتزحزح عن موضعه، ويرى في خطابه القوة التي تخلق فعلاً اجتماعياً وسياسياً، وليس إلا خطاباً كلامياً مجرداً من قوة الفعل، وليست له أدوات واقعية تجعله منجزاً، إنه ليس إلا خطاباً كلامياً صنع جواً نفسياً مؤثراً جعل السلطة تصدق نفسها بقوة إنجازاتها وانتصاراتها، فأمرت بأن يكون الخطاب نصاً

تعليمياً ومنهجاً فكرياً وجزءاً من منظومة المعرفة الاجتماعية والإنسانية في هذا البلد الذي أنجب نخباء السياسة^(١). ووسائل الإعلام تتحدث كثيراً عن إصلاح الخطاب الديني، وترى أنه سبب مباشر في الصراع بين الشرق والغرب، وأن التطرف القطري والقومي والعالمي وليد هذا الخطاب العنيف - حسب رؤيتها - وتجاهلت وسائل الإعلام الخطاب الذي تواليه (خطاب السلطة)، فالخطاب الديني لا يصل مداه وقع الخطاب السياسي المتغرس، والذي يرى في نفسه القداسة والنزاهة، فقد رسم صورة غير واضحة للإسلام في الإعلام الغربي الذي لا يصله شيء عن الخطاب الديني، فرجال السلطة يمثلون العالم الإسلامي، فالغرب لا يرى سواهم، وأكثرهم شهرة أولئك المخربون الظلمة الذين خربوا بلادهم بأيديهم وأيدي الغربيين فاعتبروا يا أولي الأبصار!

وهؤلاء الذين يتحدثون خطاباً عنيفاً يمثلون الإسلام في العالم، وما كان الإسلام في شخص حاكم ظالم متعسف، والمسلمون في العالم ليسوا الإسلام، فالإسلام في نصي الكتاب والسنة، وليس ممثلاً في صورة حاكم أو عالم، فالحكام والعلماء يمثلون من تحت أيديهم من الناس أو من يوالونهم - تمثيلاً قهرياً أحياناً وليس اختياراً - ولكن الإسلام لا يمثل فرد أو جماعة أو أمة، ومن ادعى في علمه أو سلوكه أنه الإسلام الحقيقي فهو كذوب غاش، ومن ادعى أنه يمثل الصورة الحقيقية في الإسلام ويقدم التفسير الفريد النموذجي فهو أكذب وأغش ممن سبق.

إن الغربيين لا يسمعون إلا أصوات رؤساء السلطة والجماعات وذوي النفوذ، وأما أصوات الدعاة، وخطباء المنابر، والشرائط المسجلة، فهي لم تصل بعد، ولعلها تصل قريباً، وليست هي التي أعطت الغربيين هذا الفهم الفاسد للإسلام فللغربيين مراجعهم التاريخية التي كتبها رجال الدين الكنسي والمفكرون والمؤرخون الذين كتبوا التاريخ على ما يرون، وهؤلاء جميعاً أخطأوا حقيقة التفسير عن سوء مقصد أو غير مقصد، فالخلفية الثقافية عن الإسلام معتمة فقد رسمها الصراع بين الدول الإسلامية والغرب، وهي فترات حالكة عند الغربيين، ولها رواسبها في معرفتهم المعاصرة، وزادت المعروفة سوءاً بما يقدمه السياسيون من خطابات غير واعية وبما يفعلونه من ممارسات شائنة داخلياً وخارجياً، والأوضاع السياسية في

(١) ارجع إلى: الخطاب الإعلامي العربي. مجلة الإعلام ص ٤١.

العالم الإسلامي، والأنظمة غير الشرعية والفساد السياسي، وعدم الحرية وتفشي الجهل والفقر الخ.

كل هذه الأوضاع تجتمع معاً في رسم صورة رديئة للإسلام، فالغرب يفهم الإسلام في سلوك المسلم.

والخطاب السياسي يحتاج مراجعة ودقة، والأوضاع السياسية تحتاج إصلاحاً، والعالم العربي يحتاج في هذا الجانب إلى خبرة الغرب الواعية في السياسة والخطاب، والخطاب الديني سيكون تابعاً للخطاب السياسي؛ لأن رجال السياسة هم الذين يدفعون زعماء الحركات الإسلامية إلى تبني موقف الخصم، وهذه العداوة ستنتشع عندما يدفع السياسيون بالحسنى، فالنار تزداد اشتعالاً بفعل من يحركها، والسياسيون هم الذين يزيدون النار اشتعالاً متوهمين أنهم سيقضون على الاتجاهات المعاصرة، والفكر لا تهزمه قوة السلطة بل يهزم من داخله عندما يُفَرَّغ من مقومات البقاء فالغث يذهب جفاءً، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، وبعض الأفكار الإنسانية شهدت نضوجاً وعلواً ثم خبت نارها عندما نفذت وقودها، فالاتجاه الذي يتبناه الإسلاميون سيجد طريقة إلى السلطة شئنا أم أبينا، وقد تحقق ذلك في بعض الدول وهو في طريقه في أخريات، لكننا لا نستطيع أن نحدد الفترة التي يحتفظ فيها بمقاييد الأمر، لأننا ليست لدينا ثوابت تؤكد أن هذه الاتجاهات ستظل مؤمنة بمنهجها وأفكارها، وأنها ستلتصم المناهج الصحيحة، في الدين والسياسة فتحفظ بقاءها وتحقق مقاصد الدولة، والدول التي قامت على أسس دينية، تعيد إصلاح نظامها السياسي في ضوء السياسة المعاصرة، وتخطوا في ذلك خطى وثيدة خشية أن تفقد طريقها، ولكن الغرب يلاحقها، لتفقد توازنها، فتتورط في صراع داخلي أو خارجي. والتاريخ السياسي يؤكد لنا أن دوام الحال من المحال، فالأنظمة التي قامت على نظريات، ظلت قائمة في إطار أفكارها، بيد أن هذه الأفكار قد لا تتسق مع كل المراحل وكل الظروف، فالدولة تجدد من نفسها، وتفرض هذا التجديد على من فيها، والدولة الإسلامية صاحبة أكبر تاريخ، لكنها لم تعيش في ثوب واحد ولا سلطة واحدة، فقد توالى على السلطة قيادات عدلت من شكل الدولة، وأصلحت من شأنها، وأضافت إليها، ولكن بعد المتأخرين أخفقوا في وضع تصور معاصر يتسق مع العصر الحديث، وأصرروا على ما كان عليه الأقدمون معتبرين أنه الصواب والمقدس، فلم يبق منه شيء، وقد سقط المسلمون المتأخرون، لأنهم تمسكوا برصيدهم

التاريخي الكبير، ولم يتبها إلى أن العصر الحديث يختلف في تطوره اختلافاً كبيراً عما كانت عليه الحقب السابقة فالتطور فيها كان بطيئاً وقليلاً، وكانت الحضارات تتواصل في تطورها، والحضارة الحديثة تختلف عما قبلها ولا تتواصل معها، بل هدمت ماسبقها وقامت على أنقاضها، وهي آخر الحضارات.

والخطاب السياسي المعاصر لديه القدرة على التأثير في الخطابات الأخرى في الدولة إن استطاع إقناعها بمضمونه الواعي الناضج، لكنه لن يستطيع فرض نفسه عليها إن لم يك إقناعياً.

ورجال السلطة هم الذين صنعوا خطاباً دينياً مضاداً، لأنهم عزفوا عنه، وهاجموه، فأصبح ملكية خاصة في سلطة جماعات لا تملك سلطة الدولة، فأعطاهم الخطاب الديني سلطة روحية جماهيرية لا يتمتع بها الخطاب السياسي المجرد من آليات الدين، والدين أهم العناصر التي تعطيه سلطة فوق ما يملكه من سلطة عسكرية، وهي سلطة القيمة التي يكون لها سلطان على قلوب الجماهير.

إن الخطاب السياسي جاف عقيم ليست فيه قيم روحية، تفتح له مغاليق القلوب، وتعطيه مكاناً مقدساً لا ينتزعه غيرهم منهم مادام مقدساً عندهم أيضاً، إنهم مجردون من السلطة الدينية الروحية كمن يدخل معركة بغير غاية، فالإيمان بالقضية أعظم دعائم نجاحها، والجماعات الدينية تمكنت من قلوب الجماهير، وأصبح لها سلطان على قلوبها، وهي الخطوة الأولى في الهيمنة على السلطة السياسية التي ستأول إليها طائفة إن استمرت السلطة القائمة في طريقها العسكري فقط دون التعبئة النفسية الروحية، وتستطيع الآن أن تستدرك الموقف إن تبنت خطاباً دينياً واعياً مقنعاً تستطيع به جذب الجماهير ليكونوا في صفوفها وتحت رايتها، وسيكتب لها النصر - إن شاء الله - لأنها تملك السلطة المادية والسلطة الروحية (الدين)، لكنها الآن ضعيفة، فسلطتها المادية رهينة الأحداث العالمية والاقتصادية وفريسة الأزمات التي قد تصنع من المعارضة مخلصين، وهم الآن يتحينون فرصة الانقضاض، ويتربصون الدوائر، وليس للسلطة القائمة إلا قوة السلاح، لكنه قد يكون عديم القيمة بلا جند يؤمنون بالسلطة ودوافع المعركة، ويوالون خصوم السلطة الذين يصورونها على أنها ملحدة وعبء على الجماهير، وتسوسهم على غير منهج قيم، وقد صور لنا الواقع السياسي المعاصر شيئاً من ذلك، فالحكومات الإسلامية المعاصرة قامت على أنقاض حكومات

عسكرية مجردة من الدعم الروحي سواء أكان مادياً أو وطنياً أو قومياً، فالإيمان بالوطنية أو القومية أو الدين عميق الأثر في الولاء للسلطة، والسلطة التي تستطيع إقناع الجماهير بأنها الحافظ الأمين على الوطن والعقيدة والثقافة تستطيع الاحتفاظ بكيانها في ضوء هذا المبدأ.

والخطاب السياسي والخطاب الديني في الشرق ليسا معقلاً لاتصال ناجح مع الغرب يترتب عليه علاقات طيبة، فرجال السلطة يتحدثون عن دولة عربية قومية، يقضون بها على إسرائيل، وينهون بها مصالح الغرب الاقتصادية والتجارية مع الشرق، ويجعلونها قوة عظمى تصارع الدول الكبرى، وتردع طموحاتها السياسية في العالم.

والخطاب الديني يستخدم المضمون نفسه، فيدعو إلى إزالة الحكومات القائمة، ويتهمها بالفساد والتقصير، وأنها حليفة الشيطان وحكومة جاهلية، ويدعو إلى قيام دولة إسلامية قوية مثل دولة الخلافة السالفة، لتقاتل اليهود، ولا تبقى على أحد منهم خلف حجر أو شجر، وسيعينهم على ذلك الحجر والشجر، وستقوم هذه الدولة بإعادة الأرض التي سُلبت من دولة الخلافة، فستسرد أسبانيا(الأندلس) وجنوب أوروبا وشرقها، وولاياتها السابقة في آسيا وسترد الهند إلى حوزة الإسلام وستلزم الصين الجزية التي كانت تدفعها، وستقتطع منها الولايات الإسلامية، وستقضي على قواعدها في العالم، ويبادرون بالعداوة الخطابية، ولا يرفعون شعاراً عالمياً يبشر العالم بعالمية الدين، وإصلاح العالم به، وحل قضايا مبادئه العادلة، ولكنهم يتوعدون غير المسلمين بالحرب قبل أن يدعوهم إلى الإسلام، ويقنعوهم بعدائه وصدقه.

هؤلاء يتحدثون بهذا الخطاب العدواني، ويحسبون أنهم في غفلة من هذه الدول التي ستكون هدفاً حربياً، لأصحاب هذا الخطاب، وأراهم لا يعقلون، فهم يتحدثون عن دولتين في الوطن العربي (الدولة القومية عند القوميين والدولة الإسلامية عند الإسلاميين) مازالتا في طي الخيال ولم تصل إحداهما إلى السلطة، ويجلبون على أنفسهم الحرب والحصار دون أسباب حقيقية، وقد سبقهم عبد الناصر، فتحدث عن دولة قومية "الجمهورية العربية المتحدة" وهدفها الأساس القضاء على إسرائيل، ويحرر بها الدول الفقيرة ورفع لواء التحرير في العالم وليس لديه قوة يحمي بها نفسه وأهدافه ويحقق بها أحلامه، واعتقد أنه زعيم هذه الدولة، وتضمن خطابه هذه السلطة ومارس سيادته على العرب، وهو في غفلة من إسرائيل التي قضت سراً وعلناً على بوادر أية وحدة عربية، ومن وراء إسرائيل دول أخرى

لها مصالح في المنطقة، وجنت إسرائيل مكاسب سياسية كثيرة من هذه الخطابات العدوانية الانفعالية، وساهمت في زيادة دعم الغرب لها وإقامة دولتها على كل أرض فلسطين.

إن الواقع السياسي يتطلب خطاباً جديداً يتخذ أهدافاً إصلاحية وتنموية يبشر بها العالم، فالعالم لا يرغب في استقدام الخطر؛ لأنه يبذل كثيراً من إنتاجه لتحاشي الأخطار القائمة، وما ينفقه في منع الخطر أقل كثيراً من التصدي له والاحتراس منه، وهذه الخطابات تمثل خطراً على الشعوب التي تبحث عن السكينة، فتبادرها بحرب وقائية.

فالدولة العربية يجب أن يكون هدفها إصلاح أحوال المنطقة وانتعاشها واستقرارها، وهذا الاستقرار يمنح الدول الأخرى أماناً وحفظاً لمصالحها مع المنطقة، وتعد هذه الدولة قوة جديدة لدعم الاستقرار العالمي، والقضاء على الحكومات المتناحرة والخلافات الداخلية، فالسلطة الموحدة ستحتوي المصالح الداخلية، وهذا الاستقرار سيجعل إسرائيل في موقف حرج، لأنها ستكون أمام العالم دولة إرهابية تشكل خطراً وتهديداً للمنطقة والسلام العالمي، وستكون عائقاً مباشراً أمام مصالح الدول الأخرى في المنطقة العربية، لأنها سبب مباشر في التسلح وعدم الاستقرار، والدولة العظمى لن تصبح عظمى إن خاضت حروباً عسكرية، ولكنها عظمى وستظل عظمى عندما تكون معاركها إصلاحية وإنتاجية، أما هؤلاء الذين يبشرون بالحروب ويعدون لها، فلن تقم لهم دولة عظمى.

إن الخطاب السياسي يحتاج مراجعة في مضمونه وأهدافه، ويحتاج تجديداً في فكره ولغته، ويحتاج تعديلاً أديابياً، فالأسلوب الذي يؤدي به عنيفاً وانفعالياً، ويستوحي الآخر منه كراهية وعدواناً، وينذر بخطورة هذا الاتجاه.

والخطاب الديني يحتاج هدماً لبنيته القائمة، مثله في ذلك مثل الخطاب السياسي، والهدم لا يعني هدم الأسس العقدية بل هدم المضمون الفكري الذي يعبر عنه، فهو يوظف الجهاد في الخطاب توظيفاً مبالغاً فيه، فالجهاد لا يمثل الإسلام جميعه ولا يمثل أركان الإسلام الخمسة، بل هو فرض ضرورة وبعض المسلمين يكفي الآخرين عن أدائه، ولا يجب أن نتحدث مع الآخر عن هذا الفرض، فالحديث عنه خاص بالمسلمين، وما بقي من الإسلام من دون الحدود كافٍ للحديث مع أفراد لا يؤمنون بهذا الدين، ولكن أصحاب الخطاب المعاصر يقدمون العقاب قبل العفو، والنار قبل الجنة، فيتحدثون مباشرة عما يجب الانتفاع به والتمتع به، إنهم يرهبون ولا يرغبون، ويعطون الآخر انطباعاً أنه في حل من هذا العقاب وهذه

المعاناة التي تحرمه من كل شيء. ويصورون المسلم في زى رجل الحرب دائماً، فلا يضع سلاحه الذي لا يفارقه في مصافحة الآخرين والتعايش معهم، وهي صورة مخيفة يبدو فيها المسلم.

ويوجد على الطرف الآخر فريق يدعو إلى تجديد الخطاب الديني، وهدفهم الأول والأخير تجريد الدين الإسلامي من فاعليته وتهميشه ونفيه عن سلوك المجتمع، وفكرة التجديد تعني إزاحة الدين عن مسيرة المسلم في الحياة.

فالحديث عن نسق ديني اجتماعي يعد تطرفاً وتعصباً، وسلطة إلهية يدعيها البشر، وخير مكان يعيش فيه الدين سالماً ساكناً المسجد، فمن شاء أن يعرف عنه شيئاً، فليذهب إليه هنالك، ومن لم يرغب فيه فلا حرج عليه وهذا ملخص لفكر دعاة التجديد في الخطاب الديني.

والدين نفسه لا يحتاج تجديدًا، ولكن أولئك الذين لا يرحون مواضعهم، ولا يتوبون من قريب، وأولئك الذين يرددون فكراً ميتاً مات في أرضه وما زال حياً في عقولهم الصلفة، وأولئك الذين يقدسون العلمانية الغربية ويرونها تنويراً يضيء الشرق، والغرب يشن حملات صليبية عليهم، لثلا يروا النور، فالغرب في موافقه السياسية مع قضايا الدول الإسلامية صليبياً متعصباً أو ماسونياً، ويدعي أنه علماني، ويغلف خطابه المكذوب بألفاظ لا تعبر عن المقاصد الحقيقية التي تفضحها الأحداث.

فإسرائيل دولة دينية أفكارها السياسية متطرفة، ولا ينكرها العلمانيون، وأمريكا وأوروبا تحركها منظمات سرية ذات أيديولوجية متطرفة، وتدعي في سياستها العامة أنها علمانية ! إننا في حاجة إلى مراجعة هذه الأشكال الهزيلة، وإعادة ترتيب الفكرة وهيكل الأنظمة على نحو معاصر، وإننا في حاجة إلى بناء شكل جديد يتسق مع معيقاتنا الثقافية وأنماط حياتنا المعاصرة، وأن نزيح عنه مخلفات الماضي ونفاياته الضارة ورواسبه، وأن ننقيه من شوائب الأفكار الشاذة التي تعصف بنا من حولنا، وبترنج فيها بعض أبناء جلدتنا، ويتخذونها ديناً، ويعلنون أنهم على غير دين رغبة في الشهرة.

إن التجديد المنشود في الخطاب تجديد مضموني ينعكس على المفردات التي تتسق معه، وتعبر عنه في سياقاتها، وهذا التجديد يشمل مؤسسات الدولة الإدارية والثقافية، وهذه

المؤسسات تستتبع خطاب السلطة الذي يرتجى منه حمل لواء التجديد، وأن يكون إمامًا
للخطابات الأخرى، فالشعوب على دين حكامها وتبع لهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،

الدكتور محمود أبو المعاطي عكاشة

القاهرة - لاطوغلى

ذو الحجة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م

المراجع

- * الاتصال والسلوك الإنساني ، برنت . د . روبن ، ترجمة نخبة من العلماء ، جامعة الملك سعود ، معهد الإدارة العامة ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .
- * الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، الدكتورة جيهان أحمد رشتى ، دار الفكر العربي ط ٢ / ١٩٧٨ م
- * الاشتقاق ، عبد الله أمين ، مكتبة الخانجي ط ٢ / ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
- * الألسنية العربية ، ريمون طحان ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٥ م
- * الألسنية التوليدية والتحويلية ، وقواعد اللغة ، الدكتور ميشال زكريا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط ١ / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- * البناء الصرفى فى الخطاب المعاصر ، الدكتور محمود عكاشة ، مكتبة الأنجلو ط ١ / ٢٠٠٥ م ، ١٤٢٦ هـ .
- * بحوث فى تحليل الخطاب الإقناعى ، د/ محمد العبد ، توزيع دار الفكر العربى ، القاهرة ط ١ / ١٤١٩ هـ - ١٩١٩ م .
- * بلاغة الخطاب وعلم النص ، الدكتور صلاح فضل ، عالم المعرفة الكويت ، عدد ١٦٤ ، ١٩٩٢ م .
- * تاريخ الحكم فى الإسلام ، الدكتور محمود عكاشة ، مؤسسة المختار ، ط ١ / ٢٠٠٢ م .
- * تحليل الخطاب السياسى الناصرى ، محمد سليم السيد ، مركز الوحدة العربية ، ط ١ / ١٩٨٣ م .
- * تحليل الخطاب ، براون ، جورج يول ، ترجمة محمد لطفي ، منير التركي ، جامعة الملك سعود ١٩٩٧ م - ١٤١٨ هـ .
- * التحليل اللغوي فى ضوء علم الدلالة " دراسة فى علم الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية " ط ١ ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م دار النشر للجامعات .
- * التعبير الاصطلاحي ، الدكتور كريم زكي حسام الدين ، الأنجلو المصرية ١٩٨٦ م .
- * التكرير بين المثير والاستجابة ، دار الطباعة المحمدية ط ١ / ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- * ثورة الاتصال ، نشأة أيديولوجية ، بروت ، سيرج ، ترجمة هالة عبد الرؤف مراد ، دار المستقبل العربي ، بيروت ، ١٩٩٣ م .
- * الجماعة ، السلطة ، الاتصال ، ليفيك ، موران ، ترجمة نظر جاهل ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط ١ / ١٩٩١ م .
- * الحكم فى الإسلام ، الدكتور محمود عكاشة ، الأنجلو ط ١ / ٢٠٠٢ م ١٤٢٤ هـ .

- * الخصائص أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة العامة للكتاب، مصر.
- * خطاب الحكاية، جيراء جنيت ، ترجمة محمد معتمم ، وعبد الجليل الأردني، وعمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر ط ٢ / ١٩٩٧م.
- * درة الغواص، القاسم بن علي بن محمد الحريري، تحقيق عبد الحفيظ فرغلي، دار الجيل، مكتبة التراث الإسلامي ط ١ / ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- * الدلالة الزمنية في الجملة العربية، الدكتور علي منصور، ط ١ / ١٩٨٤م بغداد.
- * الدلالة اللفظية، الدكتور محمود عكاشة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- * الشعر في عصر النبوة ، الدكتور محمود عكاشة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط ١ / ٢٠٠٦م ١٤٢٧هـ.
- * الشفاهية والكتابية ، ولتر- ج . أونج، ترجمة الدكتور حسن البنا عز الدين، عالم المعرفة، الكويت، عدد ١٨٢ م ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- * علم اللغة الاجتماعي، مفهومه وقضاياها، صبرى إبراهيم السيد، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٥م.
- * علم اللغة الاجتماعي، الدكتور كمال محمد بشر، دار الثقافة العربية ١٩٩٤م.
- * علم اللغة والمسئولية، نعوم تشومسكي، ترجمة حسام البهنساوي، مكتبة الزهراء ط ١ / ١٩٩٩م.
- * علم النفس اللغوي، الدكتور نوال عطية، المكتبة الأكاديمية ط ٣ / ١٩٩٥م.
- * في فلسفة اللغة، كمال يوسف الحاج، دار النهار للنشر، بيروت.
- * القاموس السياسي، أحمد عطية، دار النهضة المصرية ط ٣ / ١٩٦٨م.
- * القومية والدين في فكر جمال عبد الناصر ١٩٥٢ - ١٩٧٠م. دراسة في علم المفردات والدلالة، مرلين نصر، مركز الدراسات السياسية ط ١ / ١٩٨٢م.
- * الكلمة، دراسة لغوية، الدكتور حلمي خليل، منشأة المعارف بالإسكندرية.
- * لذة النص، رولان بارت، ترجمة محمد خير البقاعي، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٨م.
- * لسانيات النص، مدخل إلي انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط ١ / ١٩٨٣م.
- * لغة الخطاب السياسي، الدكتور محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- * اللغة والخطاب الأدبي، سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١ / ١٩٩٣م.

- * اللغة والتفسير والتواصل، الدكتور مصطفى ناصف، عالم المعرفة، الكويت، عدد ١٩٩٣ م، ١٩٩٥ م.
- * اللفظ والمعنى بين الأيدلوجية والتأسيس المعرفي للعلم، طارق النعمان، سينا لنشر ط١ / ١٩٩٤ م.
- * مدخل إلي التحليل البنيوي للقصص، رولان بارت، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء العربي، سوريا.
- * مدخل إلي الألسنية، بول فابر، كريستان بايلون، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١ / ١٩٩٢ م.
- * مدخل لدراسة النص والسلطة، عمر أوكان، أفريقيا الشرق، المغرب، ط١ / ١٩٩١ م.
- * مشكل الحديث وبيانه، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الرقي، حلب، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م.
- * معاني الأبنية في اللغة العربية، فاضل السامرائي، ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م الكويت.
- * معرفة اللغة، جورج يول، ترجمة محمود فراج، ط١ / ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.
- * مملكة الحكم الإلهي في أوربا (مملكة المسيح)، الدكتور محمود عكاشة، مكتبة النهضة المصرية ٢٠٠٢ م ١٤٢٣هـ.
- * النص والتأويل، بول ريكو، ترجمة مصطفى عبد الخالق، مجلة العرب والفكر العالمي، عدد ٣، ١٩٨٨ م.
- * النص والخطاب والإجراء، دوبو جراند، ترجمة الدكتور تمام حسان، عالم الكتب، ط١ / ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م.
- * نظرية اللغة في النقد العربي، الدكتور عبد الحليم راضي، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣ م.
- * نظرية النص، رولان بارت، ترجمة محمد خير البقاعي بيروت، مجلة العرب، والفكر العالمي.
- * النظم السياسية، الدكتور ثروت بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨ م.

*** **